# عبرة وعبرة

للعلامة الشيخ محسن المظفر

**كلمتان** للواحدة منها معناها اللغوي العتيد ، أو معانيها على تقدير الاشتراك باكثر من معنى في مثلها من الالفاظ وإلا فالحقيقة والمجاز — حسب ما قرر بمحله — : إتحدتا مع بعضها حروفا ، واختلفتا مفاداً.

والميزة بين الاثنتين — حاصلة من فتح العين وكسرها — بلحاظ الهيئة . لا المادة — كما هو المفهوم لدى اهل اللسان فلا طائل تحت الاطالة هنا :

ومن المستملح جداً في الذوق السليم : تواردهما على مصدر ، وصدورهما عن مورد ، وهما هما : الخصمان الذان نزعا الى النزاع منذ البداية ، واستمرئا تنازع البقاء حتى النهاية : وليس [ المصدر ] في نفس المورد بالمصطلح عليه عند النحاة — فلا يلتبس الحال على المطالع من ذوي الاطلاع : بداهة أن من وجب على غيره — مثلا — احتذاء مثاله فهو [ عِبرة ] ومن شجت مصيبته فهو [ عَبرة ] وكلتاهما تنتسبان — منطقياً — لمن يصح الاخبار بها عنه : وهو من معاني الصدور عرفا :

بقي علينا ان نتدبر الوجه في سكونها الى المجاورة — مع ان ظاهر حاليها المنافرة — وقد دلنا إطمينان بعضها للآخر : على حسن جوارها — وما ذلك إلا من خوارق العادة — طبعاً —

ولعل — ثمة — من يجهل تنافرهما ، أو التدابر اللازم — تكوينا — لهما : كما هو الشأن عند الدهماء — نراهم يرفعون ويخفظون ، واحياناً ينصبون : لا على حساب . بل هي الاحكام الكيفية . تطوح بالغالب منهم — الى حيث القت رحلها ... وكثيراً ما يبي الوجدان : حظوظاً تندب ، واخرى تعتب — ولا من مجيب سوى الصدى — كصيحة في واد ..

ورجوعا الى ما يستلزمه خبر [ لعل ] هذه — من ايضاح الاختلاف بين « الكلمتين » نقول : ان عبرة — مفتوحة العين — تستدر الدمعة ، وعبرة — مكسورتها تثمر الغبطة ، هذه تستوحي الانبساط والارتياح ، وتلك تستدعي الهلع والانكسار : الاولى من حقها الرثاء لحالها ، واجراء العبرة من اجلها ، والثانية جديرة بالاعجاب بها ، والتهنئة لذيها — . الى آخر الفوارق التي تبعد الشقة بين الاثنتين : خلا المناهضات الحاشدة في البين ، ولكن من نواح أخرى — لسنا بصدد التحدث عنها — اذ هي من مقولة ما تبقى من معانيها الملمح اليها في صدر الكلمة : ونحن والخوض في تضافرهما على اعلان ذات المتصف بها لمن لم يعرف حقيقته — بعد شبه الفراغ من عرض مايصد بوجه الواحدة عن مواجهة الاخرى وليس رائدنا سوى تمحيص البحث عما يشوهه من شبه النصب الزائفة ، والله سبحانه من وراء القصد .

قد يستنتج المنقب عن الآثار من تكاتف « الكلمتين » العزيز النضير ، وتلازمها الذي شهده التاريخ — لاول مرة — فيما الكلمة هذه مهيأة له : انها في نفس الحلبة — جريا على غير شرط العادة ، وفي غير سنن الطبيعة .

وان النادر الوقوع من فعل القدرة المطلقة ، أو الطالع من طريق الصدفة — على مذهب منكري تأثيرها : له طابعه الخاص — يشخصه من بين المقيسات بمقياس التوازن ، أو المحاكمات بوجه من المماثلة وجيه .

ولن اكتم الناظر في هذه الاحرف : ما كنت اتوهمه من ضعف التأليف بين هاتين الصفتين : تتصف بهما معاً ذات موحدة بمناسبة فردة ، ونكن من دون ما تبصر .

أما وقد اصحرت لعيني الحقيقة بجبينها الوضاح كما « إنجلى الصبح لذي عينين » مع سبق ايماني بان لله تعالى في خلقه شؤون ، وليس عليه بمستنكر : ان يختص صفياً من اصفيائه بما تعجز الطبيعة ، والعادة عن الاتيان بمثله :

إذا بي ارى [ الضعف ] قوة لازمت التأليف بين هذين العنصرين : ملازمتهما للتأليف بين الحار والبارد في انارة هذا المصباح الكهربائي من الاسلاك المشهودة في البيان ، بنحو من التقريب للاذهان بالنسبة :

وان الجهل ليسري [ القوتين ] يدل على انهما ليستا من آثار الطبيعة العمياء : اما العادة هنا فقضيتها سالبة

بانتفاء الموضوع .

وأية [ عبرة ] يتصاعد زفيرها من ضمير الوجدان ـ كالغمام يغشى هذه الاعين ـ فتصوب الدمع سحاً : هي أغزر مادة من محيط هذا المكثور الذي تقسم طرفه بين رعايتين : حرمه والحرمة « فعين لهن واخرى لها ؟ »

وما هي إلا لحظات خاطفة : تسبق [ حجر ابي الحتوف ] المشوم ـ فيرفع بطل الرواية ثوبه ـ يميط الدم السائل من جبينه عن عينيه : كي يبصر طريقه ـ اذا بالسهم المثلث كالمنتظر ـ ان تبين حشاشته وهناك ما لايقوم له جلد مكابر قط ، تصور أعبائه خروجه من مدخله ، وقد عالجه مراراً ـ فابت شعبه الثلاث : الرجوع بغير الامعاء مع القلب ، فلم يكن بد من انحنائه على قربوس سرجه ، واستخراجه من قفاه : وحسب الموضوع بهذا [ عبرة ] وان تكن كوارث المصرع تفتت الاكباد ، وتخرج عن حدود التكليف الشرعي : فمن طفل أفلت من يدي عمته للدفاع عن عمه ، وليس سلاحه : غير يد ناعمه اطنها مخذم ابحر بن كعب فارتمى على صدر عمه ، وعليه فاضت نفسه ، الى شعور سلب عن نسوة عربيات : برزن يجاهدن اعداء الغيرة والبشرية باعمدة استلبنها ـ من الخيمين ، ولم تنجل الغبرة إلا وبعضهن مضرج بالنجيع ..

الى هذا الحد ـ كان على القلم لزاما ـ ان يكر على [ الظرف ] الذي تركه في الميدان ـ عند الطليعة ـ فيقتله بحثاً مع العلم بان الظروف لها احكامها :

الظرف الذي هبت فيه [ عصابة اجيرة ] من مراقدها واخرى عدت وراء الجزار كالغنم لا تدري مايراد بها : لمحو آثار الشعور الانساني الحي ـ تجاه رافع قواعد الانسانية : ناصب معالم حقوق البشر ـ من فوق تلعة اشلاء البررة ، واكداس الوحشية البغيضتين ـ لكل متحسس بالمناعة التي اوجدها فيه ـ لقاح نهضة [ ابي الضيم ] فردت كيد جراثيمها الفتاكة في نحريها : الظرف الذي تجمعت فيه فلول جيش الثأر من فتح ( النهضة الحسينية ) المبين ، وقد طبل لها من لم يعرف من ( المدنية ) غير اسمها ، ومن التقدم : إلا ( الرقص ) المدعو بالادبي ، أو الخليع ، وإلا . وإلا : وإلا الضرب على الاوتار ـ ولكنها غير الحساسة ـ الى غير ذلك مما يندي جبين « عصر النور »

الظرف الذي أعرب عن كوامن الاحقاد في نفوس خصوم الحق ، وانصار الباطل من اذناب دويلة آل ( الفشهر ) البائد بفعل السلاح الماضي الذي جردته سياسة « الثورة الرشيدة » : ثورة القائم بدعوة « الله أعلى واجل » من اهل « ليلة القدر » على اهل دعوة « إعل هبل » وقد جهدوا ، ومن نسج على منوالهم من أئمة الضلالة : [ ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره المشركون ] :

الظرف الذي زفت فيه عرائس الافكار من حوزة جهابذة العلماء تحلي صدورها نفائس الفلسفة الاسلامية : نحو مكتبة الادب الديني الرفيع فتبوأت مقعدها من منصة [ علل الاحكام ] الشرعية الحكيمة : تجلت من مجلتها لخطاب ودها [ سماء الصلحاء ] تعانق « نصرة المظلوم » تشع تلقاء وجيهها انوار « الشعار الحسيني » واشعة آل [ نظرة ـ آل ـ دامعة ] تكفكف [ دمعتها الساكبة ] روح الاريحية الدينية : ببذل النفس والنفيس في سبيل ذكرى الامام الشهيد ابي عبدالله ( ع ) واحيائها ـ كما لم تزل منذ عرفت للحسين ( ع ) مظلوميته : تحوط المجموعة القيمة من تلكوا المؤلفات الجليلة للذود عن فصولها المهمة : نظرات [ النقد النزيه ] الصائبة ، وما عبأته من « مواكب » الذب عن [ احياء أمر آل محمد ص ] باساليبها المبتكرة ـ مما لم يقم الدليل على خطره بل ورد الندب الى معظمه من طريقي « الخصوص والعموم » .

الظرف الذي : نجم فيه قرن الفتنة النائمة تحت تأثير السياسة القائمة « احقابا » من بقعتين : كادتا أولياء الدين كيداً عظيما ، وقد تبعتا في ذلك كل ناعق يكنى بالكيد للاسلام عما تكنه نفسه الامارة : نحو منقذ البشر [ ص ] : نجم فاعادها جذعة « حسينية واموية » لولم تدمغ العناية الالهية : رؤوس النافرين من سقط المتاع الذي هو كل مافي غرائز « صاحب العير » المتخلفة ، أو هو بعض حثالات القاسطين ، والناكثين ..

ولقد تعالى ـ والحمد لله ـ صوت الحق : فرددت صداه الارجاء واذا « ابو الشهداء » يستخرج من « الكنانة » سهما يصمي به قلب النعرة الاموية ، وليس لمنزلة « سمو المعنى » العلية سلم يرتقى فيه اليه ـ غير هاتيك الذكرى التي وعى المؤلف منها درساً تقريبياً [ في سمو الذات ] التي عز منال الاحاطة

بكنهها ، وانما هي [ اشعة من انوار الحسين ع ] اقتبست : فأضاءت ما حولها ( والله يهدي لنوره من يشاء من عباده )

ولا يعزب عن تفكير الناقد البصير : متعلق التوهم ، فلا تعلق بذهنه شبهة تحديه امكان تحقق الوصفين مترادفين عقلا : فالعقل له دائرة ـ هي اوسع بكثير من نطاق العادة وانه لجار على المألوف من مجراها المطرد ـ في الامثال والنظائر فلكم يصابح الانسان كما يماسي من شتى الافهام ، ومختلف الاذواق : تشكيكات في غير ما يلابس تلك ، او يلائم هذه ـ والمرء عدو ما جهل ـ

ولقد وجدتني مديناً بالشكر لظرف خاص ـ تركني عكف على درس [ واقعة الطف ] الخالدة بامعان : كشف لبصاصرتي وبصيرتي ـ في آن ـ ما غم على ادراكي زمانا من « اسرار الشهادة » العظمى : كما هيأ لتفكيري الاهتداء لناحية من سر الفداء الذي خبط فيه ذووا الاهواء المردية وتاهوا ، والذي جعجع بامام المهتدين فحط رحله في التربة الصالحة : التي انبتت الفضيلة وكل مثل اعلى ـ ثم هي لا تزال تخرج للعالم اجمع ـ زرعا مباركا ؛ مختلفاً الوانه متشابهاً طعمه ، وغير متشابه ، سواء في ذلك القريب والبعيد ، والمؤالف والمخالف ممن ينشدون ضالتهم ـ اية سلكت ـ لا يحفلون بنزعة قومية خاطئة ، ولا تستميلهم اهواء قبلية هوجاء .

زرعا بذر بذوره الزكية النامية ( قربان ) الرسول المنتجب من سلالة الذبيح المفتدى [ بذبح عظيم ] هو غير الكبش الاملح على ما صار اليه كثير من « التفسير » المستمد تأويله من ينبوع « الراسخين في العلم » الصافي :

ثم سقاها من دمه الطاهر ، ودماء افلاذ كبد المبعوث رحمة للعالمين : من اهل بيته ، ودماء اهل البصائر من صحبه الاكرمين انصار التوحيد واعلام الدين .

زرعاً ما انفكت الالباب تتغذى لبابه ، والارواح تتحلب عصيره : فيتم لهذه بفضل زارع الكمال الانساني في عرصة كربلاء النمو التام ، ولتلك : بلوغ مرامي الحكمة البالغة ـ بينما تتخضم العواطف الرقيقة ـ خلاله نبتة المصائب الفادحة ، والوجد المبرح : تمثل الذي « عجبت من صبره ملائكة السماء » على ما جاء في الاثر عن امناء الوحي من ورثة سيد البشر ( ص ) :

تمثله ورضيعه على صدره يرفرف كالطير المذبوح : قد اعتدل في نحره سهم الجلف القاسي « حرملة بن كاهل » وهو نفسه لا يرفع رجلا ولا يضع اخرى إلا ويصبغ الموضع بالدم من كثرة ما أصيب به بدنه الشريف من الجراح ، وان قلبه الطاهر ليكاد يسكته الظمأ الذي حال بينه وبين السماء كالدخان : منظما الى انه قام منذ ثوان يسيرة من جلسة احنت ظهره ان لم نقل قصمته : تاركا وراءه مخاً سائلا على الارض من دماغ أخ صدوق مواسي تليه كفان كريمتان : نبذتا هنا وهناك ـ كانت تحمل احداهما لواء العسكر ، والاخرى الجود فيه الماء لصوادى الفسطاط ، والاطفال الذين صرعهم العطش ببابه ، وبعد ان وقف على الغلام الذي كان وجهه كفلقة قمر طالع : يفحص الترب برجليه الى ان لحقت روح الغلام بربها ـ فحملته نحو الخيمة ورجلاه تخطان الارض ، وبعد ان اشار لفتيانه بحمل شبيه المختار « خلقاً وخلقاً ومنطقاً » كبده التي كانت تمشي على الارض ، وبعد ، وبعد : حتى ينقطع النفس .

يلي ذلك كله : هلع خفرات الرسالة ، وهياج الصغار لا يعون حراجة الموقف : يلحون بطلب الماء ، وربما اتيح لبعضهم سهم من رماة الاعداء فارداه ، وامه من حوله تولول واخرى بيدها المنديل تعصب به جرحا نفذ من صدر حميها الى ظهره ايقافا للنزيف المودي بالحياة ـ من خلفها صرخة مخدرة بباب الخيمة شق السهم ازارها ـ تجاورها من داخل الخيمة ثواكل اذهلها الخطب حتى عن البكا : لبطائر ، وبصر حائر ، « والخطب يدهي ويذهل » .

ولعمر الحقيقة ان في البعض من هذا العرض المدمي للنواظر دون ما يتعقبه من هجوم الخيل على مضارب ودايع النبوة وعقائل عبد المطلب ـ وكفيلها يناضل شعبه النفاق ومردة الفجار الذين فات عدهم الحصر ـ وقد ابى لهم لؤمهم الا ان يحاربوه بسلاح العجزة الادنياء من ترويع العائلة واللجوء بالتالي الى رضخه بالحجارة عن بعد ، ورشقه بالنبال عن كثب حيث قد تيقنوا الهلاك ـ ان هم قربوا منه ـ وهم جمع وهو مفرد [ وإنه ليشد فيهم فينكشفون بين يديه انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب ] كذا حدث رواة الوقعة .

أجل ان في البعض من تلكموا المشاهد المؤثرة لشاهد